

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التاسعة والأربعون

خبيب بن عدي (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نقف اليوم مع جانب من جوانب البطولة ، والوفاء ، والأخلاص لله والطاعة لرسوله (صلى الله عليه وسلم) يتمثل في حياة أحد الشباب .

إنه خبيب بن عدي بن مالك بن عامر ... الأنصاري الأوسي . شهد بدرًا وقتل بها عدوًّا من أعداء الله ورسوله ، قتل الحارث بن عامر . وبعد أحد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع عشرة من الصحابة إلى قبيلتي عضل والقارة، ليعلموا أهلها الإسلام، فسمع بهم الكفار فحاصروهم وقتلوا منهم ثمانية، وأعطوا خبيبا وزيد بن الدثنة الأمان، فاستسلما، لكنهم باعوهما في سوق الرقيق .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة (وهو مكان بين عسفان ومكة) ذكروا لحبي من هذيل يقال لهم بنو حيان فنقروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام .

ولنا أن نتصور كم كانت قريش تخاف من تلك الفئة المؤمنة القليلة من شباب الإسلام ، فقد أرسلوا مائة رام ليلاقوا عشرة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كَلَّهُمْ تَمَرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرٌ يَتْرَبُ فَاقْتَصُّوا
 آثَارَهُمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَحُّوا إِلَى فَذَدٍ (وهو المكان المرتفع) وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ
 فَقَالُوا لَهُمْ انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا قَالَ عَاصِمٌ بِنُ
 ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ . اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ! فَرَمَوْهُمْ
 بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبُ
 الْأَنْصَارِيِّ ، وَابْنُ دَثْنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ
 فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ هَذَا أَوَّلُ الْعَذْرِ وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنْ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأَسُوءَ يُرِيدُ الْقَتْلَى
 فَجَرَّرُوهُ وَعَاجَلُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ. فَأَنْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثْنَةَ، حَتَّى بَاعُوهُمَا
 بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَأَبْتَعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنُ نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ خُبَيْبُ
 هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا (قال الراوي) فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ
 اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنََّّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى (أي شفرة)
 يَسْتَحِدُّ بِهَا (أي يخلق بها عانته استعداداً للقتل) فَأَعَارَتْهُ ، وتقول المرأة : فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا
 غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَحْدِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ فَفَرَعْتُ فَرْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبُ
 فِي وَجْهِهِ فَقَالَ تَحْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ.

ما أشجع خبيب وأصبره واحلمه ، لقد جاء إليه صبي صغير من القوم ، فأجلسه على
 فخذه يلاطفه ، والقوم قد قرروا قتله ، فلم ينو الانتقام من الصبي الذي بين يديه ، علماً بأن
 السلاح معه ، وكان بإمكانه ذلك ، كما لم يجعل الطفل رهينة حتى يساومهم على إطلاق
 سراحه، ولقد كان (رضي الله عنه) كريم الخلق ، ثابت الجنان ، فلم تتغير حاله في ذلك
 الموقف الصعب ، وهو الأسير الذي قُور قتله ، حتى أعجب أعداؤه من حسن خلقه .

وفي ذلك تقول بنت الحارث : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ
 وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ وَكَانَتْ
 تَقُولُ إِنَّهُ لَرَزَقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا.

نعم إنه رزق الله سبحانه وتعالى يهبه من يشاء ، فخييب (رضي الله عنه) يأكل عباً في مكة وهو أسير ، ومكة حينئذ ليس فيها ثمرة ، فسبحان الله (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ، من كان مع الله في الرخاء كان الله معه في الشدة .

وفي رواية البخاري : فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ ذُرُونِي أَرْكَعْ رُكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوهُ فَكَرَعَ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا

ولست أبالي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَرَّعٍ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَ الرُّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا.

لم يجزع خبيب (رضي الله عنه) من القتل ولم يصرخ ويتألم من ذلك الحكم الجائر عليه ، لأنه يعرف أن ذلك شهادة له في سبيل الله ، كما لم يغفل (رضي الله عنه) عن طاعة الله سبحانه وتعالى في هذا الموقف الصعب ، بل طلب منهم المهلة له حتي يصلي ركعتين ، فصلاهما وأحسنهما ، فكان بوده إطالتهما أكثر ، أو أن يصلي غيرهما ، وما منعه من ذلك إلا خشية أن يظنوا إنه جزع من الموت . وما به جزع ، لأنها شهادة أكرمه الله بها .

وجاء في الرواية : أن الله اسْتَجَابَ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ ، فأخبر الله نبيه بخبرهم ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ خَبْرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا . وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرِفُ وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتُهُ مِنْ رُسُولِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا^(١) .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، هذه المواقف الإيمانية الرائعة من شباب المسلمين ، فيه العبرة والعظة لشبابنا في العصر الحاضر، ليعلموا أن قوة الإيمان لا تعادلها قوة ، وإن حصل لهم ما حصل في الدنيا فإن العاقبة لهم. ومن كان قلبه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى فإنه

(١) الجامع الصحيح ٣٧١/١ .

لن يغفل عن دعائه وعبادته مهما اشتدت عليه المواقف ، كما أنه لا يصعب عليه شيء
يبدله في سبيل وإن كان المال والنفس .

وقد ذكر ابن حجر في الفتح دروساً عظيمة لهذا الموقف ، فمن ذلك قال : وفيه
الْوَفَاءُ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْعَهْدِ ، وَالتَّوَرُّعُ عَنْ قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ ، وَالتَّلَطُّفُ بِمَنْ أُريدَ قَتْلُهُ ، وَإِثْبَاتُ كَرَامَةِ
الْأَوْلِيَاءِ ، والدُّعَاءُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالتَّعْمِيمِ ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَ الْقَتْلِ ، وفيه إِنْشَاءُ الشَّعْرِ وَإِنْشَادُهُ
عِنْدَ الْقَتْلِ وَدَلَالَةٌ عَلَى قُوَّةِ يَقِينٍ خَبِيبٍ وَشِدَّةٍ فِي دِينِهِ ، وفيه أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ الْمُسْلِمَ بِمَا
شَاءَ كَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ لِيُثَبِّتَهُ ، وَلَوْ شَاءَ رُبُّكَ مَا فَعَلُوهُ . وفيه إِسْتِحَابَةُ دُعَاءِ الْمُسْلِمِ
وَإِكْرَامُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْفَوَائِدِ مِمَّا يَظْهَرُ بِالتَّأَمُّلِ .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.